مسرحية مجنون ليلى لأحمد شوقي

دراسة تحليلية

للدكتور حمدان عبد الرحمن أحمد

تمهيد :

مسرحية مجنون ليلى مأساة عاطفية ، تاريخية • اعتمد فيها شوقي على ما ورد في كتب الادب والتاريخ عن أخبار مجنون بني عامر •• وربط بين الاخبار وأحسن ترتيبها وسد ما بينها من ثغرات وصاغ منها مسرحية شعرية في أسلوب رائع ، وتصوير بديع •

« فالمسرحية ليست من خيال شوقي بل لها أصول تاريخية نجدها مبثوثة في كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني » (١) •

وقد اختلف المؤرخون في اسم مجنون بني عامر ، وقد اختار شوقي من بينها « قيس » وكنى عنه في بعض المواطن «بأبي المهدى» وهو زين شباب بني عامر وسيد من سادتهم •

يقول شوقي على لسان ابن زريج مبينا وجاهة قيس ومنزلته في قومه : ـ

وقيس يا ليلى وإن لم تجهلي ... زين الشباب وابن سيد الحمى
لم ندر في حيك أو في حيه ... فتى حكاه نسبا ولا غنى (٢)

وقد أحب قيس ابنة عمه ليلى العامرية فتعارفا طفلين ، وتصادقا صبيين واستحالت المودة بينهما الى حب جارف ، وغرام عنيف ••

---

(١) شوقي شاعر العصر الحديث ٢٧٧ د شوقي ضيف •
(٢) مجنون ليلى ١٧ أحمد شوقي •

يقول شوقى مصورا علاقتهما منذ الحداثة : ـ

هذه الربوة كانت أربعـــا لشـــبابينا وكانت مرتعـــا
كم بنينا من حصاها أربعـــا وانثنينـا فهـــدمنا الاربعـــا
وخططنـا في نقا الرمل فلـــم تحفـــظ الريح ولا الرمل وعى
لم تزل ليلـى يعينى طفلـــة لم تزد عن أمس الا أصبعا (١)

ثم أخذ قيس يشبب بها في شعره فحيل بينه وبينها وحرم من الزواج منها نزولا على العادات التى كانت سائدة آنذاك في مجتمـــع البـــادية ٠

ومن سنة البيـد نفض الاكف عن العاشـــقين اذا شـــبوا

وهكذا حرم قيس من ليلى وزفت الى رجل من قبيلة ثقيف يقال له ورد ٠٠ فجن جنون قيس وهام على وجهه في الصحراء يألف الوحش ويستأنس به دون الناس ـ وقد أضربه العشق ، وبرح به الهوى ٠٠ فأصابه الهزال حتى كان يغمى عليه فلا يفيق الا على اسـم ليلى ٠٠ وظل هذا شأنه حتى مات فحزنت عليه ليلى التى ظلت وفيـة لحبه وماتت بعده بقليل ٠٠

عرض موجز لفصول المسرحية وأحداثها

نرى في الفصل الاول ساحة واسعة أمام خيام المهدى والدليلي في مضارب بنى عامر بنجد حيث يسمر فتية وفتيات في أوائل الليـل ونرى في أيدى الفتيات مغازل الصوف وهن ملتفتات الى ليلى التى تقدم اليهن ويدها في يد ابن نريح شاعر يثرب وصـديق قيس وقـد جاء من يثرب الى نجد ليخطب ليلى لصديقه قيس ٠٠

---

(١) مجنون ليلى ١٣٧ أحمد شوقى ٠

وبعد ان تقدم ليلى ابن زريج الى المتسامرين يرحبون به ويجرى بهم الحديث في دروب شتى فيتحدثون عن البادية والحاضرة ومن الشيعة وبنى أمية ٠٠ ويحاول ابن زريج ان يستدر عطف ليلى والجماعة على قيس فيقول : ـ

بتنـا نخـاف ان يجل خطبـه ... وتبلغ البلـوى بقيس المدى
وقيس ياليلى وان لم تجهلى ... زين الشباب وابن سيد الحمى (١)

وهنا تتظاهر ليلى بالغضب وتنشد شعرا نرى فيه مشكلتها فهى تحب قيسا وتخلص له ٠٠ ولكن قيسا قد فضحها في شعره اذ تغنى بليله الغيل غناء هتك فيه سترها ، وجعل ألسنة العرب تلوكها ٠٠ اذ تقول : ـ

يعلـم الله وحـده ما لقيس ... من هوى من جوانحى مستكن
اننى في الهوى وقيسا سـواء ... من قيس من الصبابة دنى
أنا بين اثنتين كلتـاهما النـا ... ر فـلا تلحنى ولكـن أعنى
بين حرصي على قداسة عرضي ... واحتفاظى بمن أحب وضـنى
صنت منذ الحداثة الحب جهدى ... وهو مستهتر الهوى لم يصنى
قد تغنى بليلـة الغـل ماذا ... كان بالغيـل بين قيس وبينى
كل ما بيننـا سـلام ورد ... بـين عـين من الرفـاق وأذن
وتبسـمت في الطريق اليـه ... ومضي شأنه وسرت لشأنى (٢)

ثم ينفض السامر وتنسحب ليلى لتنام ويقبل قيس مع راويته زياد ويلتقى بمنازل غريمه في حب ليلى ، ويعلم منه قيس أخبار السمر والمتسامرين ٠٠ فيحتال قيس في لقاء ليلى ٠٠ فيذهب الى

---

(١) مجنون ليلى ١٧ أحمد شوقى ٠
(٢) مجنون ليلى ١٨ أحمد شوقى ٠

خبائها ويطرق بابه فيخرج له المهدى والدها ويسأله عن سبب مجيئه فيخبره قيس أنه جاء يطلب حطبا ونارا فينادى المهدى ليلى ويطلب منها أن تلبى حاجة ابن عمها ويتركها مع قيس تواجه هذا الموقف فترحب بقيس وتطلب من جاريتها عفراء ان تأتى له بما يريد ٠٠ فتأتى عفراء بالحطب والنار ٠٠ فيمسك قيس النار وهو يتغنى بحب ليلى ويبثها لواعجه وأشواقه وما يزال كذلك حتى تحرقه النار وهو مسترسل لا يدرى ويغمى عليه فتنادى ليلى أباها فيحضر ٠٠ ويتلطف مع قيس حتى يفيق ثم يطلب منه أن لا يدنو من خيامهم أبدا فحسبه أنه فضح ليلى بذكره ليلة الغيل وليس ببعيد أن يذكر قصة النار في شعره وان يشهر بها مرة أخرى حيث يقول :

امض ياقيس امض لاتكس ليلى ... كل حين فضيحة وشنارا
فكأنى بقصة النار تروى ... وكأنى بذلك الشعر سارا
وكأنى ارتديت في الحى ذلا ... وتجللت في القبائل عارا (١)

وينتهى الفصل الاول عند هذا الحد ٠ وقد أحسن شوقى عرضه حيث عرفنا بالمواطن والشخصيات الرئيسية وأوقفنا على أمزجتهم وميولهم السياسية وعلاقاتهم الاجتماعية ، كما أشار الى العقدة وهى العوائق الاجتماعية ، والعادات البدوية التى وقعت في سبيل زواج قيس من ليلى وقد نجح في تصوير الصراع في نفس ليلى بين حبها لقيس ورغبتها في الزواج منه وبين حرصها على العادات والتقاليد العربية ٠ ثم ننتقل الى الفصل الثانى حيث يظهر قيس وراويته زياد على سفح جبل التوباد بالقرب من مضارب بنى عامر ٠ وتقبل اليهما « بلهاء » جارية قيس وقد أرسلتها أم قيس بطعام وصفه عراف

---

(١) مجنون ليلى ٣٣ أحمد شوقى ٠

اليمامة اذا أكل منه قيس شفى من حبه ، ولكن قيسا يعافه ، ولا يمد يده اليه وبعد الحاح يقبل أن يأكل قلب الشـــاة فتبحث عنـــه بلهاء فلا تجده فينصرف قيس عن الطعام قائلا : ـ

وشـــاة بلا قلب يداوونى بهـــا وكيف يداوى القلب من لا له قلب

وتنصرف بلهاء الى الحى ويفد أطفال صغار من ناحية الحـى ينقسمون فريقين : فريق يتغنى بقيس منشيدا به معجبا بشعره وبحبه فيرد عليه الفريق الثانى : بأن قيسا قد انتهك الحـــرمات ، وجر العار على القبيلة ، فيهم قيس بحصب الفريق الثانى ثم يعدل عن ذلك فيصرفهم زياد عنـــه ٠٠ ويظهـــر ركب ابن عوف عامل الصدقات فيجد قيسا مغمى عليه ، وبينما يحاولون افاقته يسمعون حاويا يغنى ويتبينون أنه ركب الحســـين بن على رضي الله تعـالى عنهما ، ولكن قيسا لا يفيق ، فاذا ما سمع نشيد حاد آخر يذكر اسم ليلى أفاق من غيبوبته ، وعندما يتعرف على ابن عوف ويلمس عطفه عليه ، يشكو له أمره وكيف أهدر الخليفة دمه ؟ فيعرض عليـه ابن عوف ان يكون شفيعا له عند الخليفة ، ولكن قيسا يرفض ويتوسل اليه ان يكون شفيعه عند ليلى ، ويعده ابن عوف ان يسير اليهـــا والى قومها في الصباح ٠

وبذلك ينتهى هذا الفصل وتبدأ احداث الفصل الثالث ٠ حيـث ترى ابن عوف الامير الاموى مقبـــلا مع قيس وراويته زياد على بنى عامر قوم ليلى ٠ ويكاد قيس يغمى عليه عندما يقترب من دارهـــا فيشجعه ابن عوف على التماسك فينطلق قيس منشدا قصدة طويلة في حب ليلى وفي نهايتها يغمى عليه فيحملونه ويختفـــون به وراء شجرة ويظهر بنو عامر في حيهم شاهرين أسلحتهم يريدون الفتـك بقيس فيمنعهم المهدى قائلا :

دم قيس دمنـــا لا نقـربه يكفيـه منـا أننـــا نخيبـــه
وتصرف الأمير عمـا يطلبـــه

ثم يؤنبون ابن عوف على شـــفاعته لدى استباح الحـرمات ، وشهر بالعذارى ، فيحاول ابن عوف استمالتهم بلين القول، ومعسول الكلام فيلقون السلاح ، وتقوم مناظرة واســعة بين شباب الحى في قيس وبخاصة بين منازل خصم قيس وغريمه في حب ليلى وبين فتى يقال له بشر كان يعطف على قيس ويحبه ، هذا يهجو قيسا ويشهر به ، وهذا يمدحه ويدافع عنه ٠٠ واثر ذلك يخلو الامير بالمهدى ويحاول ان يقنعه بزواج قيس من ليلى فيحيل المهدى الأمر الى ليلى فترفض قيسا لانه فضحها ٠٠ وتختار وردا الثقفى الذى جاء خاطبا لها على الرغم من حبها تعيش عندئذ ينصرف ابن عوف خائبـــا وقد قضي على شفاعته وعلى أمل قيس الى الابد ٠٠ ثم يظهر النـــدم على ليلى لتسرعها في رفض قيس ومخالفتها هواها وتناجى نفسها بشعر عاطفى مؤثر ٠٠

أما الفصل الرابع فيشتمل على منظرين : الاول قرية من قـرى الجن في الصحراء اجتمع فيها الجن ينشـدون : ويغنون ويرقصـون ويتحاورون حوارا كله دعابة ومزاح ويصل قيس الى هذه القرية بعد ان ضل الطريق أثناء ذهابه الى ثقيف حيث يوجد بيت ليلى بعـــد زواجها من ورد الثقفى ٠٠ ويتعرف عليه شيطانه المسمى «الاموى» فيرحب به ويطلب من قومه من الجن ان يحتفـــوا به ٠٠ وتحـــدث محاورات بين قيس وشيطانه يحاول من خلالها شوقى تأكيد فكـرة ايحاء الجن بالشعر لبعض الناس وأنه لولا هذا الايحاء لاصـــابهم العى والحصر ٠٠ كما حدث من قيس حين تخلى عنـه شـــيطانه وطلب اليه أن يقول شعرا فعجز ٠٠ وعندئذ يعترف قيس بشـيطانه الاموى ويسأله عن دار ليلى الجديد وكيف الوصـــول اليـــه ، فيدله الاموى عليه ويصفه له ٠٠

والمنظر الثانى في ديار بنى ثقيف حيث يصل قيس اليها ويلتقى بورد ويسأله عن ليلى وعن مدى علاقته بها ٠٠ فيبين له ورد أنها لم تزل عذراء وأنه احترم حبها وقدسيته ويذكر له أنه غير سعيد بهذا الزواج الذى كان قيس سببا من أسبابه لاشادته بجمال ليلى والتغنى بها في شعره مما حببها الى ورد لانه كان يروى شعر قيس ويعجب به ٠

ثم تظهر ليلى على باب الخباء فيخبرها ورد بمقدم قيس ويتركهما في خلوة يتناجيان حبهما اليائس وتطول تلك المناجاة وفيها يظهر الصراع قويا في نفس ليلى وكيف حافظت على حبها لقيس على الرغم من زواجها من ورد حيث تقول : ـ

كلانا قيس مذبوح ... قتيل الاب والام
طعينان بسكين ... من العادة والوهم
لقد زوجت ممن لم ... يكن ذوقى ولا طعمى
ومن يكبر عن سنى ... ومن يصغر عن علمى
غريب لا من الحمى ... ولا من ولد العم
ولا ثروته تربى ... على مال أبى الجم
فنحن اليوم في بيت ... على ضدين منضم
هو السجن وقد لا ... ينطوى على ظلم
هو القبر حوى ... ميتين جارين على الرغم
شتيتين وان لم ... يبعدا العظم من العظم
فان القرب بالروح ... وليس القرب بالجسم

ويحاول قيس اغراءها على الفرار معه الى الفلوات وهجر بيت الزوجية فترفض في اباء وتذكره بحق ورد عليها ، فيغضب قيس ويمضي وحده الى الفلاة ، ويعاوده الجنون ثم تظهر عفراء مولاة ليلى

فتتحدث اليها ليلى وتبثها همومها وأشجانها وتشكو اليها حبها المبرح وعلتها المضلة ٠٠ ويقبل زوجها ورد ٠٠ وتحدثه عن مرضها وأنها أصبحت لا تشتهى الطعام وتسهر طول الليل لا تنام ٠ تعترف بأنها يائسة لا يراودها أى أمل في الشفاء فالقدر لها بالمرصاد بشن عليها وعلى عشيقها حربا قاسية لا هوادة فيها ٠

وفي الفصل الخامس والاخير نشاهد في أوله مقابر على سفح جبل التوباد في طريق عام على مقربة من حى بنى عامر يبدو من بينها قبر جديد مازال أشخاص يهيلون عليه التراب وذلك هو قبر ليلى ٠٠

يقف المهدى والدها بجوار القبر ويقف بجانبه ورد زوجها ، والناس يمرون بالمهدى معزين ، ولا يعبأون بورد لعل نظرتهم انيه تفصح عن حقد عليه لأنه كان سببا في هذه الكارثة ، وبعد أن ينصرف اخر معز يتقدم ورد من المهدى معزيا ٠٠ ويخبره بأنه ظل وفيا لليلى طوال وجودها في بيته وأنه ليس بأقل حزنا منه على فقدها ثم ينصرفان ٠٠ ويظهر الغريض المغنى وابن سعيد الشاعر ورجلان اخران فيبصرون القبر الجديد الذى ضم جثمان ليلى ويفيضون في حديث الموت وينشد الغريض نشيد وادى الموت ثم يقبل قيس وحده ويقابله بشر صديقه ويتحير كيف يخبره بوفاة ليلى وبعد محاورة بينهما يدرك قيس الكارثة فيغمى عليه ويأخذ في الاحتضار ويرمى نفسه على القبر ويبكى معشوقته ويظهر له شيطانه يريد أن يرده الى البوادى فيلومه قيس لانه كان سببا في هذه المأساة من أولها فلولا انه اجرى على لسانه هذا الشعر الذى قاله في ليلى لما حدث كل هذا ٠٠ فيختفى الشيطان ويستمر قيس في نجواه وذكر بلواه ويمر عليه ظبى فيناجيه ثم يظهر صديقه زياد ثم يأتى ابن زريح ويقترب من القبر خاشعا حزينا فيتحدث الى قبر ليلى حديث القدر لها المعجب بوفائها وتضحيتها ثم يسمع قيس صوتا ضئيلا كأنما هو خارج

من القبر يناديه فيعتقد انه صوت ليلى فيدخل في دور الاحتضـــار ويقول : ـ

نحن في الدنيـــا وان لم ترنا لم تمت ليلى ولا المجنون مات
ثم يلحق بها ويسدل الستار

أضـــواء على المسرحية

وقعت أحداث هذه المسرحية في صدر الدولة الاموية ، وفي رقعة من الجزيرة العربية هى بادية نجد حيث كانت توجد مضـــارب بنى عامر ، وقد عرفت نجد بطيب الهواء ، واعتدال المناخ فكثر فيهـا الشعراء العاشقون الذين ذاقوا حرقة الهوى ، ومرارة العشـــق ، وتجرعوا كؤوس الحرمان ، ومن هؤلاء مجنون بنى عامر بطل هـذه المسرحية ..

وقد حرص شوقى على تصوير الصراع السـياسي الذى كان يعتمل في قلوب العرب والمسلمين في صدر الدولة الاموية بين حبهـم لعلى وبنيه وخضوعهم في الوقت نفسه لسلطان بنى أمية فكانت قلوبهم مع على وألسنتهم عليه ..

وقد كان الحسين بن على رضي الله عنهما بعد استشهاد أبيه هو النجم الساطع الذى كانت تهفو اليه قلوب المسلمين وتتطلع اليه أبصارهم لا في الجزيرة العربية وحدها بل في العالم الاسلامى كله ..

ولم يرض مسلم مخلص لدينه ، بحكم بنى أمية ، الذى انتزع الخلافة وحولها الى ملك وراثى عضوض ..

وقد نجح شوقى في تصوير هذا الصراع واظهاره منذ اللحظـــة الاولى من المسرحية ..

ففى الفصل الاول تظهر نزعة التشيع واضحة في الحوار الذى بين المتسامرين : ـ

عبله (هامسة الى سعد) : من ابن زريح ؟

سعد : فتى ذكره على مشرق الشمس والمغرب
رضيع الحسين عليه السلام وتربب الحسين من المكتب

عبلة : تكلم بشرا وهي تشير الى ابن زريح

أتسمع بشر رضيع الحسين فريت الرضيعين والمرضعة
وأنت اذا ما ذكرنا الحسين تصاممت

بشر (هامسا وملتفتا كأنما يخشي ان يسمعه أحد)
لا جاهلا موضعه .

ولكن أخاف أمرأ أن يرى على التشيع او يسمعه
أحب الحسين ولكنما لساني عليه وقلبي معه
حبست لساني عن مدحه حذار أمية ان تقطعه
انا الفتنة اضطرمت في البلاد ورمت الزجاة فكن امعه

وفي الفصل الثانى :

يمر موكب الحسين بن على رضي الله تعالى عنهما في مكان بين مكة والمدينة فاذا الحادى يتغنى : ـ

يا نجد خذ بالزمام ورحب
سر في ركاب الغمام ليثرب
هذا الحسين الامام ابن النبى
النور في البيد زاد حتى عمر
أحد الحيا في الوهاد أحد القمر
أحد جمال البهوا زين الحضر
ابن النبى

ويسأل زياد نصيبا كاتب ابن عوف أمير الصدقات في الحجاز عن صاحب الموكب فينسي نصيب في جلال هذا الموكب نفسه ومكانته في دولة بنى أمية ويجيب زيادا وهو غاضب :

قد بين الحادى فقل ... أصنم أنت أم عبى
هذا امام العرب ... هذا الحسين ابن النبى
هذا الزكى ابن الزكى ... الطيب ابن الطيب
عارضنا الحسين في ... طريقه ليعثرب
هذا ثنا جبينه ... ملء الوهاد والربى
قد جل حاديه جلا ... ل القارىء المطرب

وهنا يخاف ابن عوف على مكانته ومنزلته في دولة بنى أمية فيعاتب نصيبا كاتبه على هذه الصراحة ويخوفه من عواقبها ، ويحذره من عيون بنى امية وبن بطشهم فيقول : ـ

نصيب صه لا تسلكن ... بنا مسالك التهم
ولا تظاهر بالهوى ... لوارث البيت العلم
احذر جواسيس ابن هند وعيون ابن الحكم
نحن رجال دولة ... قوامة على الامم
ليس بعينيها عمى ... ولا بأذنيها صمم
تسمع في ظل القصد ... وهمس رعيان الغنم

ثم يعود نصيب في موقف اخر فيذكر الحسين رضي الله تعالى عنه غائبا لكنه يذكره هذه المرة بينه وبين نفسه لا يخشي سطوة أمية لا عتب ابن عوف ولا عيون ابن الحاكم فنراه يلعن الزمن ويسب الوظيفة لأنه رأى ابن عوف يتشبه بالحسين في الشفاعة لعاشق اذ يقول : ـ

يا دهـــر در بما تشـــا ويـا حـــوادث اهـــزلى
ويا وظيفـــة اعـــزبى ويـا جـــراية ارحلـــى
يبغى ابن عـوف ان يكـــو ن كالحســـين بن عـلى

وهكذا نجد شوقيا قد حرص منذ اللحظة الاولى على القاء الضوء على الحياة السياسية ، وتصـــوير الصراع الذى كانت تجيش به صدور القوم بين حبهم لعلى وبنيه وخوفهم من بنى أمية ، وقـــد نجح في ذلك نجاحا كبيرا حيث جعل المشاهد يفهـــم ذلك عن طريق الحـــوار ..

مظاهر البيئـــة في المسرحية

استطاع شوقى بعبقريته الفذة ان يصور الحيـــاة العـــربية بعادتها وتقاليدها وأوضاعها ، كما ألقى الضوء على مجتمع البادية وحب أهلها العذرى العفيف ..

ومن أبرز تلك العادات في مجتمع البادية حرص العرب على ألا يزوجوا بناتهم ممن شيب بهن :

ومن سنة البيـــد نفض الاكـف من العاشـــقين اذا شـــيبوا

والتى يعللها المؤلف بخشية العار والفضيحة في أكثر من موضع نجد ذلك على لسان المهدى عندما طرد قيسا ليلة الحطب والنار ..

امض يا قيس امض لاتكس ليلى كل حين فضـــيحة وشـــنارا
فكـــأنى بقصـــة النـــار تروى وكأنى بذلك الشـــعر ســـارا
وكـأنى ارتـديت في الحـــى ذلا وتجلاـــت في القبـــائل عـــارا

وفي الفصل الثانى نجد طائفة من الاطفال يتهمون قيسا بأنه فضح العذارى وانتهك الحرمات في شعره حيث يقولون : ـ

قيس كشـــفت العـــذارى وانتهكـــت الحـــــرمات
ودفعـــت الحـــى عـــارا في السـنين الغـــابرات

قد ذكرت الغيل دعوى واصطنعت الخلوات
صليت ليلى ببلوى منك دون الفتيات

وفي الفصل الثالث : يقولون غريمه منازل : ـ

شعر قيس عبقرى خالد ليته لم يتخلله المجون
رب شعر قال في ليلى به هتف البدو وضج الحاضرون

وفي نهاية المسرحية نجد قيسا يطرد شيطانه ويحمله مسئولية ما حدث له ، فلولاه ما شبب بليلى ٠٠ ولما هتك سترها حيث يقول :

اذهب فلست صالحا وأى شيطان نصح
كنت قرين السوء لى وكنت شر من نصح
لولاك ما بحت بها خدش ليلى وجرح
كأنه في عرضها زيت على الثوب سرح

والمؤلف ـ رحمه الله ـ يرجع بهذه السنة الى شرع جاهلى قديم كقوله عن ليلى عندما رفضت الزواج بقيس :

تصون القديم وترعى الرميم وتعطى التقاليد ما توجب

وكان من عاداتهم الوساطة بين العاشقين كما فعل الحسين رضي الله عنه عندما شفع لقيس بن ذريح عند والد لبنى وكما فعل ابن عوف في شفاعته لقيس عند والد ليلى ٠٠

ومن عاداتهم كذلك اذا ضل احدهم الطريق صفق بيده وليس ثوبه مقلوبا لينبه اليه من يراه كقول أحد الجن عندما ضل قيس الطريق : ـ

لقد ضل الطريق أما تراه يصفق باليمين وبالشمال
وقد غلب الشباب عليه نهجا على عاداتهم عند الضلال

وكانوا يؤمنون بالجن والسحر والرقى : ـ

لا الحوأميم تصرف الجن عنا حين تتلى ولا رقى السحر تجدى

واذا خدرت رجل أحدهم تذكر من يحب ونادى باسمه فيزول الحذر : ـ

اسم الحبيب عندنا تذكره عند الخدر

ويتشاءمون اذا خلجت عين أحدهم اليسرى : ـ

خلجت قبل نلتقى عيني اليسـ ـرى وريع الفؤاد روعة طائر

وكانوا يكبرون في أذن المغدى عليه ليفيق : ـ

قيس لا بأس عليك كبروا في أذنيه

ومن أطعمتهم المفضلة التى كانوا يقدمونها للضيف الرطب واللبن والشهد والسمن كقول المهدى منادیا ليلى ومرحبا بابن عوف:

هو الضيف يا ليل هاتى الرطب وهاتى الشواء وهاتى الحلب
وهاتى من الشهد ما يشتهى ومن سمنة الحى ما يطلب

وهكذا استطاع شوقي ان يصور العادات والتقاليد التى كانت سائدة في مجتمع البادية ـ آنذاك ـ وان كان قد خالف بعض هذه العادات ، كما سنوضح ذلك في حينه .

أهم شخصيات المسرحية

أ ـ قيس

لم تكن شخصية قيس واضحة تمام الوضوح في ذهن المؤلف فتراه يصوره حينا بأنه زين شباب بني عامر وأكرمهم نسبا ، وأكثرهم مالا ٠٠ وأرجحهم عقلا ٠٠ ويصوره تارة بأنه مجنون قد أضر به العشق وبرح به الهوى يسير في ثياب بالية ويهيم على وجهه في الصحراء بأنس الوحشي ، وتحرقه النار فلا يشعر :

ففى الفصل الاول نجد ابن ذريح الشاعر يقول عن قيس : ـ

وقيس يا ليلى وان لم تجهلى زين الشباب وابن سيد الحى
لم تدر في حيك أو في حيه فتى حكاه نسبا ولا غنى
ولا جمالا وهنا يا ليلى ما ترين أنت لا الذى نحن نرى

وفي موطن آخر نجد المؤلف يصفه بالخبل والجنون حيث يقول على لسان منازل غريم قيس لزياد : ـ

تؤدبنى زياد وأنت ظل لمجنون وراوية لهذى

ثم ترى منازل في موطن آخر يصف قيسا بكمال العقل فيسأل بنى عامر : ـ

ان قيسا كامل في عقله أو آنستم على قيس الجنون ؟

فيجيبه الناس مقسمين : لا ورب الكعبة ٠٠

وليلى نفسها تقرر في غير موضع انه مجنون حيث تقول : ـ

وقيس ذو جنة وان زعموا جنونه مدعى وبطنا

ويفهم من ذلك أن قيسا كان كامل العقل ، راجح التفكير ، قبل أن يضربه الهوى ثم تحول الى مجنون كثير الاغماء فلا يفيق الا عشى لسم ليلى ..

كما صورة المؤلف بأنه كان مندفعا طائشا لا يرعى عهد ليلى ، ولا يصون حبها ، ولا يكتم سرها حيث يقول على لسان ليلى : ـ

ضنت منذ الحداثة الحب جهدى ... وهو مستهتر الهوى لم يصنى
قد تغنى بليلة الغيل ماذا ... كان بالغيل بين قيس وبينى
كل ما بيننا سلام ورد ... بين عين من الرفاق وأذن
وتبسمت في الطريق اليه ... ومضي شأنه وسرت لشأنى

وفي موطن اخر تقول : ـ

يمينا لقيت الامرين من ... حماقة قيس ومن جهله
فضحت به في شعاب الحجاز ... وفي حزن نجد وفي سهله

« وقد عاب بعض النقاد شوقيا على تصويره لقيس بهذه الصورة التى تخرج عن مألوف الحياة وعلى وصفها بالضعف الظاهر والمستحيلات معتمدا في ذلك على كل ما نسب الى قيس في كتب الادب من غير ان يختار منها ما يجعل قيسا شخصية عادية مع أنه زين الشباب ، وابن سيد الحمى » (١)

وقد نجح شوقى في اظهار مقدرة قيس الشعرية حتى فتن الناس به ورددوا شعره ومنهم غريمه منازل الذى أعجب بشعر قيس على الرغم من كرهه له حيث يقول عن قيس مخاطبا بنى عامر:

---

(١) المسرحية ٤٣٧ عمر الدسوقى .

ان قيسا شـــاعر البيد الذى لا يجـارى اغأنتم منكرون ؟

ـ ثم يقول :

أنا في ودى واعجـــــابى بـــه لا يداتينى الـرواة المعجبـــون
شـــــعره يبقى ويفنى غـــيره ليس كل الشـــعر ترويه القرون
شـــعر قيس عبقـرى خـــالد ليته لم يتخلله المجـــنون

والمهدى والد ليلى كان يحفظ شعر قيس ويرويه وهو كاره فقراه يقول مناجيا قيسا في اغمائه : ـ

أبا المهـــــدى عوفيـت ويا بـورك في عمـــــرك
أرانى شـــــــعرك الويل وما أروى سـوى شـــعرك
كمـــا لـــذ على الكـــره كـــلام الله للمشـــــرك

وهذا ورد الثقفى يعلل زواجه بليلى بأعجابه بشعر قيس ولولا قيس لما سمع عن ليلى ولا أعجب بجمالها حيث يقول مخاطبا قيسا :

فلولاك ما اخـــترت الا ثقيفـــا ولـــم ألق للعـــامريات بالا
ذهبت بشـعرك منـذ الشـباب أغنى القصـار وأروى الطـوالا
أرى بين ألفـاظه ظل ليـلى وألمح بين القـوافي الخيـــالا
فلمـــا رددت وقيل القصـــا ئد والعشق بين المحبين حـــالا
خرجت الى حيهـــا خاطبـــا ولم أدخـر دون مسـعاى حـالا

ومهما يكن من شيء فقد استطاع شوقى ان يسلط الاضواء على شخصية قيس وشعره وان يصور مأساته تصويرا صادقا وكان في ذلك متأثرا بما ورد في كتاب الادب من روايات متضاربة عن شخصية قيس ..

ليلـــى

يبدو ان شخصية ليلى كانت اكثر وضـوحا في ذهن المؤلف من شخصية قيس ٠٠ فهى فتاة عربية اصيلة تتمتع بالعقـل الراجح والرأى الصـائب والحـرص الشـديد عـلى العادات المتوارثة : ـ

تصون القديم وترعى الرميـم وتعطى التقـاليد مما توجب

وقد رفعها شوقى الى مصاف الابطال حين جعلها ترفض قيسـا على الرغم من حبها الشديد له حرصا على كرامتها وشرف والدها٠٠

نقول لابن عوف وقد جاء يخطبها لقيس : ـ

ولكن أترضي حجـابى يزال ... وتمشي الظنون على سـدله
ويمشي أبى فيغض الجبـين ... وينظـر في الارض من ذلـه
يدارى لاجلـى فضول الشيوخ ... ويقتلنى الغـم من أجلـه

وقد استغل المؤلف قوة شخصيتها حين جعل وردا زوجها يتركها تقابل قيسا عشيقها بعد الزواج بها بل ويتركها في خلوة وهو واثق أن شرفها مصون ، وأن عرضه لن يمس ٠٠ قد كانت ليلى عندحسن ظن زوجها حين رفضت الفرار مع قيس محافظة بذلك على قداسـة الزواج وكرامة التقاليد ٠٠ وقد تركته وحـده يهيم في الفلوات ، وأحشاؤها تحترق ، وقلبها يتمزق ٠٠ ولم تلبث بعد ذلك أن فارقت الحياة ٠٠

المهدى والد ليلى

وهو سيد بنى عامر وأوفرهم مالا ، وأوسطهم حسبا ، وأرجحهم عقلا ، واكثرهم حرصا على العادات التقـاليد ، وعلى الرغم من رفضه زواج ابنته من قيس فقد كان لا يحقد عليه لتشهيره بها بل نراه يعطف عليه ، ويحميه حين يهم قومه بقتله ويقول : ـ

دم الود والقربى ولن كان ظالما عزيز علينا ان نراه يسيل
وانى لانسان وانى لوالد وانى مذهب في الوالدين جميل

ونراه كذلك شديد العطف على ليلى يرثى لبلواها ، ويتألم لمحنتها ، ولكنه لا يستطيع ان يفعل الا ما فعل ازاء حكم التقاليد القاسي : -

أأظلم ليلى ؟ معاذ الجنان متى جار شيخ على طفله

وثمت شخصيات أخرى كثيرة في المسرحية أدوارها ثانوية في صنع الاحداث ..

المسرحية في ميزان النقد

تعد هذه المسرحية من أروع مسرحيات شوقى فقد أجاد فيها الى حد كبير وقد استمد أحداثها من الاخبار التاريخية التى الفت في القرنين الثانى والثالث بعد الهجرة عن الحب العذرى الذى شاع في بادية نجد بين بعض القبائل والبطون .. وهو حب طاهر عفيف يقوم على الاحترام والتقديس للمحبوب ، حب لم تلوثه الرذيلة ولم تدنسه الفاحشة ، ولذا كان المحب يظل مفتونا بمعشوقته ، معلقا بها محروما عنها حتى الموت ..

ومن أشهر هؤلاء المحبين مجنون بنى عامر الذي وردت أخباره في كتاب الاغانى وهو فتى من بنى عامر أحب ابنة عمه ليلى وشبب بها في شعره فضاقت به القبيلة ومنعته الزواج منها ورفعت أمره الى السلطان فأهدر دمه فهام على وجهه في الصحراء وأصيب بالجنون وظل كذلك حتى مات ..

كل هذه الاخبار وغيرها كانت مصدرا لشوقى استقى منه معلوماته ، وأخذ منه مادته ، ولكنه لم يلتزم بتلك الاخبار وانما غير فيها ، وزاد عليها في كثير من الفصول : ـ

١ ـ فمن المخالفات التاريخية أن شوقيا جعل ليلى ترفض الزواج من قيس حين خيرت في ذلك حفاظا على التقاليد العربية مع أن التاريخ يذكر انها أكرهت على الزواج من ورد الثقفى اكراها ٠٠ ولعل شوقى اراد بذلك ان يرفع ليلى الى مصاف الابطال حيث ضحت بحبها في سبيل العادات والتقاليد وقد جعلها شوقى مثالا للمرأة الوفية لزوجها المخلصة لبيتها بعد الزواج مع احتفاظها بحبها لقيس ٠

٢ ـ وقد أضاف شوقى منظرا كاملا في الفصل الرابع خصصه لقرية من قرى الجن ، وجعل قيسا يلتقى بهم ، ويتحدث مع شيطانه الأعوى الذى كان يوحى اليه بالشعر مع ان التاريخ لم يذكر شيئا عن هؤلاء الجان الذين التقى بهم قيس ٠٠

ويبدو أن شوقيا كان متأثرا بفكرة العرب القديمة عن شياطين الشعراء الذين يوحون اليهم بالشعر ، وكذلك بالقصص الدينى المعروفة عن سيدنا سليمان وتسخيره للجن وتعذيبه الاشرار منهم بالطلاسم والقماقم ، وكذلك بالقصص الكثير عن الجن والشياطين في ألف ليلة وليلة وغير ذك مما هو موجود في الاساطير عن عالم الجن والشياطين ٠٠ قد استعان شوقى بكل ذلك في بناء المسرحية ٠٠

٣ ـ وقد قلب شوقى الحقيقة التاريخية في موت ليلى فجعلها تموت قبل قيس مع أن التاريخ يذكر أنه مات قبلها ٠٠

« ولعل شوقى اراد بذلك ان تكون نهاية البطل منطقية ، وأن يعجل موت ليلى بوفاته ولعله كان ينظر حينذاك الى نهاية «روميو» حين رأى جثة جوليت المخدرة (١) ٠

وقد كان شوقى متأثرا بالحياة العصرية التى عاشها في مصر وفي أوربا فجعل ابطال المسرحية يتصرفون وكأنهم يعيشون معه في هذا العصر ٠ فقد طالعنا في أول فصل من فصول المسرحية بمنظر ليلى تخرج من خبائها ويدها في يد ابن ذريح الضيف القادم من يثرب ثم تقدمه لاصحابها وتعرفه بهم كما يحدث الان في مصر بل في أوربا وأمريكا ٠٠ ولم تكن العادة في مجتمع البادية تسمح بذلك انما كان يأتى الوافد الى الحى فيستقبله الرجال ويكرمه من يريد ، اما شوقى فادخل ابن ذريح الى خيام المهدى وجعل ليلى تستقبله ٠٠ وتخرج معه ويدها في يده لتعرفه بأصحابها ٠٠ ومن العجب أن هذا الضيف لا يخطب ليلى من ابيها او من قومها كما كان يحدث بين العرب حتى في العصر الحاضر وبذلك أخرجنا شوقى عن العصر الذى وقعت فيه احداث المسرحية وكان ينبغى عليه أن لا يفعل ٠٠

وفي الفصل الرابع نجد وردا زوج ليلى يقابل قيسا عشيقها ويرحب به ويسمح له بلقاء ليلى وبالخلوة معها ويتركهما وينصرف وهذا موقف يتنافي مع ما عرف عن العرب من حمية واباء وغيره شديدة عن العرض ٠٠ ويبدو أن حياة شوقى في القصر واختلاطه بطبقة معينة في مصر وسفره الى أوربا وحياته فيها قد جعلته ينسي التقاليد العربية بهذا الخصوص حتى ليخيل للمشاهد ان وردا هذا لم كن عربيا من ثقيف وانما كان أوربيا من باريس ٠

---

(١) المسرحية ٤٢٧ عمر الدسوقى ٠

ويؤخذ عليه كذلك أنه جعل زيادا راوية قيس يفتك بمنازل غريم قيس ومنافسه في حب ليلى على مشـــهد من قومه بنى عامر فـلا يتحركون ٠٠ مع ان زيادا هذا كان غريبا عن الحى وعن القبيلـة ٠٠ والعصبية العربية تأبى ان يفتك غريب بأحد ابناء القبيلـة على مرأى ومشهد منهم من غير أن يحركوا ساكنا مهما كانت منزلة هذا الغريب ٠٠

ومن الامور التى تؤثر على عنصر الصراع في المسرحية ان شوقيا جعل ليلى ترفض قيسا بمجرد ان خيرت في ذلك وكان يخفى عليـــه أن يجعلها تفكر وتتردد وتنفعل وتبكى ويظهر أثر حبها في كلامهـا وتصرفاتها بدلا من تسرعها في رفضه وقبول ورد الثقفى أمام الجميع مهما تكن قوة التقاليد وصرامة العادات التى كانت سـائدة في ذلك الحين لا يشفع لهاندمها بعد فوات الاوان ٠٠

ويكاد النقاد يجمعون على طغيان العنصر الغنائى على مسرحية مجنون ليلى ، وهذا يؤثر على البناء الفنى للمسرحية « فقد أقحـم شوقى نفسه على الشعر (الدراماتيكى) دون ان يستطيع التخلص من طابعه الغنائى او ينزل على مقتضيات الفن المسرحى وطبيعـة الحوار التمثيلى » ـ (١ ـ

والامثلة على ذلك كثيرة : ـ

ففى الفصل الاول نرى قيسا ما يكـاد يقف على المسرح حتى تتفتق شاعريته بهذه المقطوعة الغنائية الرائعة :

سجا الليل حتى هاج لى الشعر والهـوى
وما البيـد الا الليل والشـــعر والحـــد ،

---

(١) المسرح ٩٢ د٠ محمد مندور ٠

ملأت سماء البيد عشقا وأرضها
وحملت وحدى ذلك العشق يارب
ألم على أبيات ليلى بى الهوى
وما غير أشواقى دليل ولاركب
وباتت خيامى خطوة من خيامها
فلم يشفنى منها جوار ولا قرب
اذا طاف قلبى حولها جن شوقه
كذلك يطفى الغلة المنهل العذب
يحن اذا شطت ويصبوا اذا دنت
فيا ويح قلبى كم يحن وكم يصبوا
وأرسلنى أهلى وقالوا امضي فالتمس
لنا قبسا من أهل ليلى وما شبوا

وهى مقطوعة من الشعر الغنائى الرائع ليس لها أية علاقة بالبناء الفنى للمسرحية .. وكان يمكن حذفها ما عدا البيت الاخير الذى كشف لنا سبب مجيء قيس الى خيام المهدى ..

ويمر ركب قادم الى نجد من ناحية يثرب وحاديه ردد فيه اسم ليلى فيفيق قيس من اغمائه عند سماع اسمها ويرد قصيدة غنائية أخرى لا تقل روعة عن سابقتها وهى :

ليلى منـاد دعـا ليلى فخـف له نشوان في جنبات الارض عبيـد
ليلى انظرى البيد هل مادت بأهلها وهـل ترنم في المـزمار داود
ايا نداء بليلـى رن في أذنى سحر لعمرى له في السمع ترديد
ليلى تردد في سمعى وفي خلدى كمـا تردد في الايك الاغاريد
هل المنادون أهلوها وأخوتهـا أم المنادون عشاق معـانيد
ان يشركونى في لينى فلا رجعت جبال نجـد لهم صوتا ولا البيـد
أغيرى ليلاى نادوا أم بها هتفوا فداء ليلى الليالى الغـرد الغيـد

وفي الفصل الخامس وبعد موت ليلى تنطلق شـــاعرية قيس بقصيدة غنائية اخرى كتلك التى اســـتهل بها دخوله الى المسرح وفيها يردد ذكريات الصبا موجها الخطاب الى جبل التوباذ حيث كان يرعى الغنم في طفولته مع ليلى فيقول : -

جبل التوباذ حيـاك الحيـــا ... وســقى الله صـــبانا ورعى
فيك ناغينا الهوى في مهـــده ... ورضعناه فكنـت المرضـــعا
وحدونا الشـمس في مغربهـا ... وبكـرنا فسـبقنا المطلعـــا
وعلى سفحك عشـنا زمنـــا ... ورعينـــا غنـم الاهل معـــا
هـذه الربوة كانت ملعبـــا ... لشـبابينا وكانت مرتعـــا
كم بنينا من حصـاها اربعـــا ... وأنثنينـا فمحونا الاربعـــا
وخططنا في نقا الرمل فلـــم ... تحفـظ الريح ولا الرمل وعى
لم تزل ليلـى بعينى طفلـة ... لم تزد عن أمس الا أصـبعا
ما لأحجـــارك صـم كلمـــا ... هاج بى الشوق أبت ان تسمعا
كلما جئتك راجعت الصـــبا ... فأبت أيامه أن ترجعـــا
قد يهـون العمر الا سـاعة ... وتهـون الارض الا موضـعا

وهكذا نجد شوقيا قد غالبه الشعر الغنائى الذى مارسه طوال حياته فلم يستطع ان يتخلص منه وهو يكتب مسرحياته وكأنما اراد ان يظهر مقدرته الفنية في معالجة الشعر الغنائى فاقحم هـــذه المقطوعات الغنائية ، على أحداث المسرحية وهى تعد قصـــائد مستقلة لو حذفناها لما أثر ذلك في بناء الاحداث شيئا .. « ولا شك في أن هذه المسرحية خير مسرحياته استعدادا للغناء والموسيقى ولو أن لنا موسيقى عربية كالموسيقى الغربية تحتمل التمثيل الغنائى وتضطلع به لكانت هذه المسرحية اروع وأبدع ما يقدم لتلك الموسيقى وقد أدخل محمد عبد الوهاب مشـهدا من مشـــاهدها في شريط من

أشرطة الخيالة « السينما » وصاغه في شكل « اوبريت » فنفح شريطه نفحه نجاح رائعة . وحبذا لو تعاون الموسيقيون المعاصرون على اخراج المسرحية كلها في تمثيل غنائى واستطاعوا ان ينهضوا بما تتطلب من موسيقى اذن لكسب تمثيلنا وكسبت موسيقانا كسبا عظيما » (١) .

د/ حمدان عبد الرحمن احمد

---

(١) شوقى شاعر العصر الحديث ٢٤٢ د. شوقى ضيف .